

المرجعيات الفكرية للعنوان في ديوان "عندما أشرق في عيوني" لريم السيد

The Intellectual Referances of the Title in "Reem Alsayyid's Poetry Collection
"When he Shone in my Eyes"

* أ.د نسمة كريبع

NASSIMA KRIBA

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية -المركز الجامعي ميله-

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميله(الجزائر)

University Center Abdelhafid Boussouf –Mila (Algeria)

kribaa.nassima@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 2026/03/02

تاريخ القبول: 2025/12/06

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

يتشكل العنوان الشعري من مرجعيات إيديولوجية بمختلف أبعادها الدينية والسياسية والنفسية والاجتماعية والفلسفية وبمختلف الآليات التجريبية من تصوير فني وتوظيف للرموز والأقنعة، ليس لحجب المعنى بل لإضفاء جماليات دلالية وتكثيف الصور التعبيرية، وهو ما يميز عناوين "ريم السيد" في ديوانها "عندما أشرق في عيوني" سواء في البنى اللغوية التشكيلية أو في البنى الدلالية العميقة التي تبدو من الوهلة الأولى مزاحة منحرفة عن الخطابية المباشرة، مقترنة من الغموض الفني الذي يخفي مدارات تأويلية مرتبطة بسياقات ذاتية نابعة من عمق التجربة الإنسانية للشاعرة، وعليه تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية الآتية:

هل يمكن تقديم مقارنة تحليلية -وفق المنهجين السيميائي والثقافي- لعبة العناوين قصد الكشف التجاذبات الدلالية للمعنى الشعري؟ ليكون الهدف من الدراسة البحث عن المرجعيات الفكرية للعناوين وتحليل جمالياتها وتفسيرها دلاليًا.

الكلمات المفتاح : عنوان، مرجعيات، فكرية، تأويل، معنى.

Abstract :

The poetic title is formed by ideological references in all their religious, political, psychological, social and philosophical dimensions, and by various experimental mechanisms of artistic depiction and the use of symbols and masks, not to obscure the meaning, but to add semantic aesthetics and intensify expressive images. This is what distinguishes the titles of "Reem Al-Sayed" in her collection "When he shone in my eyes" whether in the linguistic and formative structures or in the deep semantic

structures that appear at first time to be deviant from direct rhetoric, approaching the artistic ambiguity that conceals interpretive orbits linked to subjective contexts stemming from the depth of the poet's human experience Accordingly, this study attempts to answer the following problem: Is it possible to present an analytical approach - according to the semiotic and cultural methods - to the threshold of titles in order to reveal the semantic attractions of poetic meaning? The aim of the study is to search for the intellectual references of the titles and analyze their aesthetics and interpret them semantically.

Keywords: Title, references, intellectual, interpretation, meaning.



مقدمة:

يتم الشعراء المعاصرون بتجويد عنونة دواوينهم الشعرية لتيقنهم بالدور الكبير الذي يلعبه العنوان في استقطاب القراء والنقاد، وضمان الترويج لمنتجاتهم الشعرية، فهو أكثر العنابات النصية إثارة للاهتمام سواء من طرف المبدع الذي يحيطه بعناية كبيرة ويقضي أوقاته في التخطيط لضبطه، أو من طرف القارئ الذي يتلقاه بعين الفاحص الباحث عن المعنى، والملاحظ هو توجه الشعراء نحو العناوين المثيرة للمخاطلة التي توحى بالغموض وتستدرج المتلقي نحو المتون الشعرية في محاولة لرسم معالم المعنى.

إنّ العنوان هو ذلك النص القصير المثير الذي يكون الملمح الأول للنص الأدبي الذي يسمه ويوازيه وبالأخص في النصوص الشعرية التي يقدم فيها الفكرة الأولى لما هو خفي مضمّر في المتن، إذ يؤسس فضاء تخيليا لاستقبال النص، وكما أنه ضرورة طباعية هو أيضا ضرورة دلالية متممة وموجهة للمعنى، ولا يمكن بالمرّة تجاوزه أو تحطيه شأنه شأن باقي العنابات، فلا يخفى ذلك الدور الذي تؤديه، حيث تحتل العنابات النصية للمدونات الشعرية مكانة دلالية محورية على مستوى التلقي، وذلك لأهمية ما تحمله من عنونة رئيسية وفرعية، وفضاء طباعي للغلاف بتيمات اللونية والجرافيكية¹ غير أنّ العنوان يبقى الواجهة الأبرز لأي عمل إبداعي لما يمتلكه من سمات تداولية تحدد مسار الرسالة التي يبثها المبدع عبره . وقد حظي العنوان باهتمام نقدي بالغ في الدراسات والبحوث التي اهتمت بتأسيس قاعدة نظرية تحدد مفاهيمه وآليات اشتغاله، وفي الغالب كان تقديم مفهوم للعنوان في الأدب مرتبطا بتحديد خصائصه ومعرفة الوظائف التي يشغلها؛ خاصة في الدواوين الشعرية التي تكون أكثر استناراً لطاقت العنوان التعبيرية والاختزالية، بما يتيح من بوح وتلميح وإضمار، حيث بالإمكان أن يوحى بالمعنى ويحجبه بقدر ما يجعل القارئ مسكاً بعلامة ما للانطلاق نحو عمق الدلالات، ذلك أنّ وظيفته ليست «مرجعية أو إحالية فحسب، بل إنّ من واجب العنوان أن يخفي أكثر مما يظهر، وأن يسكت أكثر مما يصرح»⁽²⁾ وهنا يمكن القول إنّ العنوان أهم أجزاء النص الأدبي، وأكثر مكوناته جذبا للانتباه، وإنّ له

سلطة تأويلية بحكم موقعه ووظيفته التعيينية والدلالية، وإنه علامة سميائية تميز الكتاب وتكون له بمثابة البصمة التي من شأنها التدليل على هويته .

1/العنوان وتشكيل المعنى في النصوص الشعرية :

اهتم النقاد والباحثون في العقود الأخيرة بمقاربة عناوين الأعمال الشعرية وتقديم دراسات إجرائية تتناولها بالبحث، لما تتيحه من دلالات وتأويلات وما تقدمه من معنى إضافي للعمل الشعري، خاصة بعد أن عكف الشعراء على شحن عناوين دواوينهم بشحنات تعبيرية مكثفة وتعزيزها بمرجعيات ثقافية وتاريخية ورمزية وجمالية، بما يضمن حسن التسويق والترويج لأعمالهم، وإغراء النقاد بتقديم قراءات نقدية للعنوان وفق مناهج مختلفة، حيث يعدّ العنوان أكثر العتبات النصية تأثيراً في المتلقي، وهو يشكل معها منظومة دلالية وأيقونية لما تقدمه من إحياءات ودلالات فكرية وجمالية، وهذا ما يعطي للعمل الإبداعي أهمية أساسية أثناء إخضاعه للتحليل الذي يتم في الغالب من خلال البحث عن أنسب المناهج لاستنطاق المعنى بتتبع المستويات اللسانية (المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي) والمستويات الجمالية (التناسق، الانزياح، الرمز، المفارقة الشعرية...) أو اعتماد التحليل النفسي أو التاريخي أو الاجتماعي... وغيرها من الأدوات التحليلية لمختلف المناهج النصانية أو السياقية بحسب ما تستدعيه طبيعة العنوان وطبيعة النص .

هذا ويمارس العنوان دوراً محتماً في إضاءة المعاني العميقة للعمل الأدبي الذي يسميه فهو أول عتبات النص التي يمكن من خلالها أخذ الفكرة الأولى عما هو كامن داخل نسيجه اللغوي، ومخبوء ضمن معالمه الخفية وقد اكتسب العنوان الشعري بأصنافه وأنماطه مكانة لا يمكن معها تجاوزه، ولا تجاوز الإحياءات الدلالية المسبقة التي يشي بها، فمن المعروف أنه « إظهار لأمر خفي وكشف له، وهو كذلك تعريف للمكتوب، به يُعرف الكتاب ويتميّز عن غيره وهو تجميع واختزال لثوى داخلية متناثرة وموسّعة في فضاء الكتاب (...) كما أنه اختزال وتجميع وإظهار لما هو مطويّ وخافٍ من المقاصد »³ وهو يتولى منذ اللحظة الأولى إثارة الفضول النقدي لدى المتلقي ؛ الذي يبدأ بطرح تساؤلات عن السبب وراء اختيار هذا العنوان بعينه، وعن الرسالة التي يتم تمريرها من خلاله، وبالتالي البدء برحلة البحث عن المعنى ومعرفة العلاقة التي تربط هذا العنوان الرئيسي بالمتن الشعري وباقي العتبات النصية الأخرى لاسيما العناوين الفرعية للقصائد.

وحينها سيخضع هذا النص المكثف لاحتمالات دلالية مختلفة، من حيث هو رسالة لغوية مصممة من قبل الشاعر، تستثير المتلقي لاستكشاف ما هو مضمّن من الدلالات، بعد أن أصبح المعنى يشكل «هاجساً ملحا للتأص وهو يقدم نصّه للقارئ نظراً للدور الخطير الذي يمارسه العنوان في العملية الأدبية إبداعاً، والغواية المثيرة التي يبثها حول النص تلقائياً»⁴، حيث تحوّل في النقد المعاصر إلى قطب محوري لتوليد المعنى و توزيعه على باقي المكونات النصية للعمل الإبداعي، فهو يقيم علاقات تفاعلية مع العناوين الفرعية والنصوص الشعرية ويقوم بمهام تداولية بين المرسل والمتلقي. من الملاحظ توجه معظم الشعراء الحداثيين نحو تشتيت الرؤيا باعتماد عناوين تجريبية ذات تشكيل لغوي وايدولوجي ينزاح بالمعنى من التدليل إلى التعتيم وخلخلة الفهم قصد إحداث صدمة تلقي، وذلك حينما تتدخل جمالية الغموض وكثافة الترميز وجدلية المفارقات الدلالية، لجعل أفق التلقي متأرجحاً بين ضفتي المتن والعنوان مستعصياً على المسك منفتحاً على تعددية الاحتمال الدلالي.

ولا شك في أنّ التجريب سبيل لخلق لغة شعرية متعالية تستعير مرجعياتها من توظيف الرموز الإيديولوجية والتاريخية والدينية والأسطورية، وبالتالي فإنّ «أخصّ ما اتجهت إليه عناوات الشعراء المعاصرين هو العنوان الإيجائي الرامز إلى أفكار بعينها يتضمنها النص، والعنوان في هذه الحالة لا يعبر مباشرة عن المضمون بقدر ما يرمز إلى الدلالة الإيجائية لفكرة الشاعر، وكأنّه قمة الهرم أو البناء الذي أقامه الشاعر»⁵ فالشاعر حين يضلّل الفهم ولا يعطي في عنوانه المعنى المباشر، يكون بصدد تمرير رسالة معينة، وتقديم دعوة لفتح باب التساؤلات.

هذا وإنّ العناوين إذا استعصت وانفلتت عن الإفصاح والبوح فإنها بذلك تقدم علامة على انفلتات الأمور في الواقع الحياتي، ووضع الأمور في غير محلها، خصوصا إذا كان الفضاء المكاني والنفسي للقصائد هو الأوطان العربية التي لطالما شهدت شعوبها صراعات وأزمات وعاشت مفارقات وجودية بين ما هو موجود وبين ما يفترض أن يوجد، وهنا طبيعي أن تنتقل المفارقات نحو تشكيل متون وعناوين شعرية أساسها الغموض وإحداث الدهشة، حيث «تتجلى المفارقة ظاهرة أسلوبية بارزة في الشعر العربي بعامته وفي الشعر الحديث منه بخاصة، وتسهم في بنيته الشعرية بشكل لافت فتحول الواقعي المألوف إلى خيالي بغية الوقوف على ما تحجب واستتر من هذا الواقع أو الوقوف على ما انكسر فيه رغبة في تصحيحه أو إمعانا في تعريبه»⁶، وكذلك كان المعنى مموضعا على أقطار التأرجح الدلالي صعب الإمساك بالرغم من سهولة اللغة في عناوين ديوان "عندما أشرق في عيوني" للشاعرة "ريم السيد"⁷

2/ مرجعيات المعنى في عناوين ديوان "عندما أشرق في عيوني":

يشكل العنوان الرئيسي نواة المعنى الشعري في ديوان "عندما أشرق في عيوني" لريم السيد فهو المنطلق نحو عالم الديوان الشعري الذي يبدو أول الأمر علما غامضا عصيا على التأويل بلغته السهلة الموعلة في الذاتية والملتبسة بالخيال والتي تتطلب إمعانا في مستوياتها البنيوية قصد تحديد الشخوص وربط الأحداث الشعرية واكتشاف المعنى الذي يظلّ متأرجحا متعلقا بالمتغيرات الإسنادية، خصوصا إذا تعلق الأمر بالتغيب القصدي للفاعل المحرك للأحداث .

جاء العنوان الرئيسي "عندما أشرق في عيوني" شبه جملة ظرفية، وهي جملة غير مكتملة المعنى بسبب ارتباط المعنى فيها بظرف الزمان "عندما" والمتعلق بالفعل "أشرق" ليطرح هذا التركيب الإسنادي أسئلة منها: من؟/ ما الذي أشرق؟ متى كان الإشراق؟ وأين؟ ماذا حدث بعد الإشراق؟ والسؤال المحوري عن كنه الإشراق؟، ومن هنا يتبين أنّ الشاعرة توحى من خلال هذا الغموض بوجود فجوة بين عالمها الذاتي الداخلي بأحلامه وآماله وبين العالم الخارجي المتحجر الذي تعيش فيه بنزاعاته وصراعاته وقسوة قوانينه، وبالتالي فللعنوان الرئيسي وباقي العناوين الداخلية أبعاد دلالية مرتبطة بمرجعيات فكرية مختلفة أهمها:

أ/ المرجعية الصوفية للعناوين:

إن تقسيم الفضاء الزماني والرؤيوي في الديوان على أساس (ما قبل / ما بعد الإشراق) جعل المعطيات الشعرية تنقسم إلى مرحلتين؛ مرحلة التأزم الذاتي ثم مرحلة الكشف والوعي، ومن المؤكد أنّ المقصود في العنوان ليس الشروق الكوني اليومي للشمس، إذ يتبين من إطلالة على العناوين الفرعية والقصائد وبعض العتبات مثل عتبة الملاحق من الديوان أنّ الإشراق يخض الروح والفكر، حين تختتم الشاعرة ديوانها بعنيتين في الصفحتين 63 و 64 تحملان مقولتين

لابن عربي، ولجبران خليل جبران سيكون ربط المعنى بالبعد الصوفي ضروريا حيث يتم الارتقاء في عالم لغوي صوفي نوراني هروبا من عتمة الوجود، ذلك أنّ «الإنسان يبحث بطبعه عن النور ومصادر العرفان»⁸ بعيدا عن ضيق الواقع ومحدودية الرؤيا نحو عالم روحاني ذاتي محله القلب والأحلام.

من تحب ليس نصفك الآخر
هو أنت كلُّك في مكان آخر

جبران خليل جبران

Celui qui tu aime n'est pas ta moitié

Il est entièrement toi-même

A un autre endroit

Khalil Gibran

أدين بدين الحب
أنى توجهت ركائبه
فالحب ديني وإيماني

ابن عربي

Je crois en la religion de l'amour

Ou que se dirigent ses caravanes

L'amour est ma religion et ma foi

Ibn Arabi

إن نص ابن عربي الحاضر ضمن مكونات الديوان يمارس سلطة تدليلية تفيد بأن الشاعرة فضلت مقاومة الألم والظروف القاسية التي تعصف بها عبر التثبث بالمشاعر الإنسانية الصادقة (الحب، الإيمان، الوفاء، الصدق...) تجاه من تحب، لتكون لها فلسفة في الصمود، فهي بتوجهها الروحي الصوفي تمارس طقوس التعالي والارتقاء إلى عالم النقاء الداخلي اللامتناهي متجاوزة ألم البعد عن الأهل والوطن والأحبة، باختيارها التحليق في جوّ تخيلي تقترب فيه من السلام والأمن الروحي .

تطرح التركيبة اللغوية للعنوان الرئيسي فكرة التصالح مع الذات والآخر والبحث عن سبل الخلاص من خلال الكلمة المفتاحية (أشرق)، وما توالد عنها مصطلحات شكلت حقلا دلاليا للإشراق حسب ما احتواه الديوان من مصطلحات ذات بعد صوفي فوجد كلمات مثل:

(نور، ضياء، شمس، شعاع، عشق، تراقص، ترتعش، تتغلغل، قلبي، روحي، حياة، طهر، ثمل، خمر، كأس، رجائي طيفي، مناجاتي، همسي، مسكون...) ولعل التواجد القوي لهذه المصطلحات خلق فضاء صوفيا رؤيويًا محله قلب الشاعرة الذي اتسع لكل الانفعالات والتراكبات والهزات العاطفية التي تعصف بها بعيدا عن المقرئين من روحها لخلق حالة من السكينة، فـ «القلب مركز النور، ويشع كالنور كما يقول المتصوفة وهو مصدر المعرفة والإيمان»⁹ وهو ما تجلّى في القصيدة المفتاحية "عندما أشرق في عيوني" التي تحمل عنوان الديوان ذاته، ما يجعلها قصيدة محورية في فك شفرات المعنى المخبوء، أين نجد اللجوء إلى ذلك العالم الروحي البديل الذي تتحول فيه العيون إلى عيون القلب والروح، ويتحول الإيصار فيه إلى تبصر رؤيوي، إذ تقول "ريم السيد":

«عندما هطل عليّ شعاع الصباح

أيقظني مدغدا ..سهادي

تفاجأت بك

تنام في عيوني

ابتسم الثغر..كثيرا لك

رفرف القلب فرحا بك

رجف الهدب ..ليقبلك

أومأت لها ..لأ توقظك

أسدلت الجفون ..غطاء

واغرورق الدمع

هامسا

نم قرير العين

في عيوني»¹⁰

ليكون محور السرد الشعري في القصيدة هو ثنائية (الحبيب/الوطن) التي يصعب الفصل بين طرفيها حيث يتحول كل من الوطن البعيد والحبيب الغائب إلى ذلك الرمز الصوفي الذي يتجلى فلا تراه إلا عيون الشاعرة بعد سهر وسهاد وهي تحتاز مسالك التجلي ومقامات الارتقاء والتأهي فتختزل المسافات ويتحول عندها الوطن/الحبيب إلى طيف تستدعيه الروح ليسكن عمق الذات في مشهد من التوحد والسكينة والرضا.

هذا ويحضر البعد الصوفي في عدد من العناوين الفرعية للقصائد الشعرية منها: (طقوس وردة عاشقة، خيالات هاربة، أمنيات هائمة، أسرار الرمال، ضفاف نداءاتك، هطل الحب، هذيان، بوح يدك، أمواج الشوق) حيث بنت الشاعرة عالما شعريا يتسع فيه قلبها للتخليق والوصل بمن تحب، إذ يفرض الوطن سلطته على قلب الشاعرة المتعلق بالذكريات والباحث عن سفر افتراضي متجدد للهبوط على أرض الذكريات، وهي تعكس في قصيدة "القنديل السحري" صور التأهي الروحي مع الوطن:

« حبك قنديل سحري

أضاء دنيائي

فلا أكون

إلا بك

إلا منك

يا أنت

يا كلّ الحياة»¹¹

إنّ الغوص في ذلك العالم الصوفي الرؤيوي المتعالي منح الديوان الشعري لغة مختلفة موحية منزاحة عن التقليد، بعيدة عن التداول العادي للمعنى، لتكتسب لغتها شحنات تعبيرية جمالية متنامية وهي ما يعرف بشعرية العنوان «وهي شعرية ربما بدت موازية لشعرية النص، من حيث يقوم العنوان بدور فعال في تجسيد شعرية النص أو الإحالة إليها (...) لأنّ له وظيفة في تشكيل اللغة الشعرية ليس بوصفه مكملا أو دالا على النص، ولكن من حيث هو علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال»⁽¹²⁾، وفي العناوين الداخلية لديوان "ريم السيد" تتكشف الشعرية من خلال العلاقة التي تربط كل عنوان فرعي بمتمته النصي وبالعنوان الرئيسي وبالعناوين الفرعية الأخرى وهو ما يحيل إلى وجود وحدة شعورية شاملة في الديوان الشعري.

ومن خلال تلك الوحدة الشعورية تتحقق قصدية الرسالة، حين تربط القصائد بعضها ببعض لتشكيل رؤيا دلالية مفادها البحث عن الخلاص، وقد جسدت الشاعرة في قصيدة "خيالات هاربة" فكرة الهروب بالوطن/الحبيب من الواقع إلى الحلم كما في الأثر الصوفي للحلم، إذ تقول:

« أرحل إليك بعيدا بخيالاتي

بعيدا

بعيدا

أغفو .. أستيقظ

أبتسم.. أتألم
ثم أعود.. لنومي
عسالك..
سريعا تأتيني
قبل أن يفوتك
قطار حلمي»¹³

يمكن القول إنّ الشاعرة نحتت بلغتها الشعرية ذات البعد الصوفي عناوين مكثفة كانت بمثابة خارطة للعبور بنفسها من حالة التأزم الروحي إلى آفاق مشرقة لتجاوز آلام البعد والشوق والحزن من خلال البحث عن الخلاص الروحي .
ب/ المرجعية الأسطورية للعناوين :

بالرغم من الصيغة اللغوية المختصرة للعنوان الرئيسي "عندما أشرق في عيوني" إلا أنه يحمل في ثناياه أبعادا أسطورية، وهي استراتيجية دأب الشعراء المحدثون على العمل بها سواء في العنوان أو داخل المتن النصي، فنجد أنّ « القصيدة الجديدة أخذت تتعامل مع الواقع بوسائط متعددة رمزية وأسطورية وتمثيلية كما أنها حررت نفسها في مجالي استخدام الاستعارة والمجاز متحدية جميع الحدود البلاغية والتقليد الشعري »¹⁴ حيث يمكن لكلمة واحدة أن تنقل المعنى نحو مسالك جديدة للتأويل إذا كان لهذه الكلمة الشعرية ارتباطات بمرجعيات أسطورية، وهنا نجد كلمة (عيوني) التي تتعالق دلاليا مع أساطير الموت والبعث كأسطورة عشتار وتموز التي تحيل إلى التجدد والحياة بعد الموت، فعيون عشتار الحزينة رغم الألم والحزن تسقي الأرض بدموعها لتحدث المفارقة مع مصطلحات شعرية مثل: (البكاء، الغيوم، الخريف، المطر، الشتاء...) فيولد تموز مطلع كل ربيع معلنا ميلاد الحياة وتجدد الخصب بعد الموت والفناء، ولا شك في أنّ الشاعرة استلهمت فكرة الميلاد بعد الموت لمنح علاقتها بمن تحب أمل التجديد واللقاء بعد الغياب .

ولأن الوطن يمثل الانتماء والاستقرار والدفء يمكن أن يكون معادلا موضوعيا في هذا الديوان الشعري لذلك الرجل الغائب الذي يوجه له الخطاب في القصائد والعناوين، فالشاعرة جعلت المعنى خفيا غير أنها أوجدت قرائن تثبت تواضع العلاقة بينه وبين الوطن وأن كلاهما يمثل لها الآخر، وما ميلاد أحدهما إلا ميلاد وبعث للآخر، نلاحظ ذلك في عنوان "أنثى الخريف" حيث يحمل العنوان إحالة إلى تعاقب الفصول، وإلى أنّ الأنثى كما الأرض رحمٌ للبعث والميلاد فـ«كثيرة هي الأساطير والديانات التي تجعل من الأرض الكونية أمّا للآلهة والبشر والكون والوجود»¹⁵ وكثيرة هي الأساطير التي جعلت المرأة معادلا للأرض والخصب، وهو ما يمكن تبينه في المتن النصي من دمج أسطوري بين الأنثى/المرأة والأرض:

«هو موسم الفراق
حتى السماء
تنكس أعلامها
تبكي الدموع عند وداع الليفيف
الطبيعة أنثى

وما يزرع في فصل الخريف
تحتضنه الأرض في رحها
تحميه من برد الشتاء
ليشتعل الزهر في الغصون
عندما يطلّ الدفء في الربيع
وتفرش الأرض بساطها المطرّز البديع
(...) الخريف .. يا سيّدي.. الخريف
ليس نهاية العمر
بل هو بداية لكلّ ما في الحياة
من روعة
لكلّ ما في الخصب من رفيف»¹⁶

فالخريف هنا يحيل إلى ربيع قادم وأمل جديد عوض أن يحيل إلى نهاية دورة الحياة، وهو الأمل الذي تصنعه كلمات الشاعرة و تختزله عناوينها. هذا ويمكن البحث عن معانٍ مستترة جديدة من خلال ربط المرجعية الأسطورية للعنوان الرئيسي بالعناوين الفرعية لتشكيل مفارقة الميلاد بعد الموت ومن بين هذه العناوين نجد: (كماء عيوني، رحيق الحب، دموع محارة، بوح العيون، مرايا عينيك، بساتين الروح، آلهة الحب، شجرة الحياة، أجنحة عذراء..). ففي كل هذه العناوين إحالات تلميحية لفلسفة التجدد والبعث بعد الموت المؤقت الذي يصيب العلاقات الإنسانية ويعطل مظاهر الحياة فيها.

ومن بين العناوين الفرعية المفتاحية التي لها امتدادات دلالية مع المعنى الخبوء في العنوان الرئيسي نجد عنوان: "شجرة الحياة" وهو عنوان يحمل مرجعيات أسطورية عن التجدد كما جاء في القصيدة:

«بعد أن عشعشت بذور حبك في شغاف قلبي
نبتت في حدائق روحي براعم وزهور
ولدت شجرة حياة جميلة شامخة الرأس
مشرعة الأغصان للنور
متلألئة الأوراق..مزدانة بثمار الفرح
عميقة الجذور»¹⁷

فالبذور حالة كامنة للخلق المتجدد، وبقدر حاجتها للأرض تكون حاجة الإنسان لأرض وطنه التي تحتوي آلامه وتعثراته وتشهد وقوفه مجدداً .

ج/ المرجعية الاجتماعية/السياسية:



يتجلى البعد الاجتماعي/السياسي من خلال عنوان الديوان الشعري الذي بدا مطبوعا باللغتين العربية والفرنسية "عندما أشرق في عيوني" / " Quand il s'est levé dans mes yeux " في تواشجه مع الصورة التي تغطي خلفية الواجهة الأمامية من الغلاف، وهي صورة لمطار دمشق الدولي كما جاء في الصفحة الثالثة التي تحمل عتبة معلومات النشر، أين يتضح بأن الصورة التقطت بمطار دمشق عام 2010 من طرف الشاعرة وفيها يظهر البعد السياسي من خلال التاريخ الذي كتبت فيه ديوانها بحسب عبارة: "قصائد كتبت في باريس من حزيران 2011 إلى كانون الأول 2012"، ولا شك في أنّ هذه العتبة ستضمن للقارئ حسن الربط بين الأحداث السياسية التي عصفت بسوريا منذ تلك الفترة وفق ما نُمّي بالربيع العربي مخلفة صراعات طويلة وأزمات اجتماعية ونفسية وسياسية.

قصائد كتبت في باريس
من حزيران ٢٠١١
إلى كانون الأول ٢٠١٢

تنقيح النص العربي : د. فؤاد السيد
الترجمة إلى الفرنسية : ريم السيد
تنقيح الترجمة الفرنسية : إيف لوتورنور

تصميم الغلاف : أسامة خليل
ورة الغلاف (مطار دمشق ٢٠١٠) : ريم السيد

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

©

جميع الحقوق محفوظة

تظهر على الغلاف صورة مطار، حيث تبدو هناك طائرة على وشك الإقلاع وقت الشروق أين تشغل السماء ثلثي الصورة، وقد توسطتها الشمس وهي تبث حزم أشعتها مبددة ضباية المشهد، كما يظهر اسم الشاعرة وعنوان الديوان باللغة الفرنسية في الجزء العلوي من الديوان، فيما جاء العنوان واسم الشاعرة باللغة العربية أسفل الديوان قريبا من أرضية المطار، وكأنه حلم اللقاء القريب، وقد تجملت السماء بألوان الإشراف المائلة إلى البرتقالي الذهبي مشكلة الخلفية التي تضم عيني امرأة ترقبان المطار من السماء، وكأنها نظرة الشاعرة المغتربة إلى الوطن من مكان التجلي الروحي، في مشهد من التماهي والتوحد والحنين.

ليتضح من خلال هذه العتبة النصية أن الوطن هو القضية الأكثر هيمنة في الديوان ولو بدا الجانب العاطفي الناتي فيه بارزا إلا أن فكرة أنسنة الوطن أخذت حيزا كبيرا من التعبير الشعري سواء في النصوص أو في العناوين، من خلال الانزياح الدلالي للمعطيات اللغوية، وهنا يجب الإشارة إلى اضطراب الآلاف لمغادرة الوطن الحبيب نحو مدن جديدة في العالم حاملين معهم حب الوطن والأهل والأحبة، وحاملين معهم ألم الشوق والحنين، ولعله ما يفسر ترجمة الديوان إلى اللغة الفرنسية؛ فالديوان ينتقل بالشاعرة بين فضاءين؛ سوريا وباريس، ولذلك ظلت قصائدها تحكي ألم البعد عن الوطن الأم والأحبة في الوطن، حيث ابتدأت ديوانها بقصيدة اختصر عنوانها المعنى وكثف الدلالات وهو عنوان: "رسائل إلى أمي"، وفيها تقول: "عامان يا أمي

والحلم بلقاء .. يجمعنا
يكبر مع ضجيج .. أنيني

أرجوك يا أمي

بقوة الإعصار..

ألاقيك.. دعيني

(...) أنا كبرت يا أمي

ومازال حلم الطفولة يراودني¹⁸

لاشك في أنّ عنوان هذه القصيدة يحمل طاقة انزياحية تجعل الرسائل موجهة إلى الوطن الأم بالدرجة الأولى، ولأنّ هذا العنوان كان فاتحة العناوين الداخلية والمتون النصية فإنّه يتحول إلى بؤرة لتوجيه المعنى ورسم الصور الشعرية المتداخلة في الديوان، حيث تتجلى المفارقة الشعرية للمعنى الغامض الذي أجادت ريم السيد إخفاء ملامحه بانتقالها من عمق الواقع الاجتماعي السياسي في وطنها بما يختزله من صور الحرمان والضياع والعوز المادي والروحي إلى علياء التعبير الشعري والترفع الإنساني.

* - خاتمة:

لعب العنوان دورا تدليليا ترميزيا في المجموعة الشعرية "عندما أشرق في عيوني" لريم السيد، وذلك بالإحالة إلى المرجعيات التي تجاذبت المعنى، فقد تبين أنّ الشاعرة استعانت بعوالم صوفية وأسطورية لتشكيل فضاءات العناوين، قصد التلميح إلى عمق القضايا الاجتماعية والسياسية التي يحملها الديوان الشعري دون التصريح بها، ليتراوح المعنى بين الغموض والارتداد الدلالي منتقلا من الضبابية نحو الكشف والتجلي والإشراق، وهي الحالات الشعورية التي رسمت المشهد الشعري في تعبيره اللامباشر عن الظروف القاسية والمتاهات التي عصفت بوطن الشاعرة، وجعلتها تبحث بلغتها الشعرية عن طرق الخلاص لتحقيق التوازن الروحي، ومن أهم نتائج الدراسة ما يلي:

* تطرح التركيبة اللغوية للعنوان الرئيسي فكرة التصالح مع الذات والآخر والبحث عن سبل الخلاص.

* وفي العناوين الداخلية لديوان "ريم السيد" تتكشف الشعرية من خلال العلاقة التي تربط كل عنوان فرعي بمتمنه النصي وبالعنوان الرئيسي وبالعناوين الفرعية الأخرى وهو ما يحيل إلى وجود وحدة شعورية شاملة في الديوان الشعري.

* يمكن القول إنّ الشاعرة نحتت بلغتها الشعرية- ذات البعد الصوفي- عناوين مكثفة كانت بمثابة خارطة للعبور بنفسها من حالة التأزم الروحي إلى آفاق مشرقة لتجاوز آلام البعد والشوق والحزن من خلال البحث عن الخلاص الروحي.

* قدمت العناوين إحالات تلميحية لفلسفة التجدد والبعث بعد الموت المؤقت الذي يصيب العلاقات الإنسانية ويعطل مظاهر الحياة فيها.

* يتضح من عتبة العنونة في ديوان ريم السيد أن الوطن هو القضية الأكثر هيمنة في النصوص الشعرية ولو بدا الجانب العاطفي الذاتي فيها بارزا إلا أنّ فكرة أسنة الوطن أخذت حيزا كبيرا من التعبير الشعري من خلال الانزياح الدلالي للمعطيات اللغوية.

*هوامش:

- ¹ نسمة كريع، 2017 قراءة سيميائية في عتبات ديوان "تلالي تضيق بعوسجها" لعقار الجنيدي، مجلة دراسات، جامعة عار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ع50، ص141.
- ² بسام قطوس، 2001، سمياء العنوان، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، ص69.
- ³ محمد البازي، 2012، العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، ط1، دار الأمان للنشر، المغرب، ص14.
- ⁴ خالد حسين حسين، 2007 نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ط1، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ص15.
- ⁵ محمد عويس، 1988، العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، ط1، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ص381.
- ⁶ بسام قطوس، 2001، سمياء العنوان، ص83.
- ⁷ ريم السيد، د.ت، عندما أشرق في عيوني، ط2، دار لامارتان، باريس.
- ⁸ أحمد ديو شعبو، 2006، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي -أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، ص190.
- ⁹ المرجع نفسه، ص209.
- ¹⁰ ريم السيد، عندما أشرق في عيوني، ص15.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص43.
- ¹² بسام قطوس، 2001، سمياء العنوان، ص57، 58.
- ¹³ ريم السيد، عندما أشرق في عيوني، ص14.
- ¹⁴ حميد الحميداني، 2007، القراءة وتوليد الدلالة -تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص10.
- ¹⁵ أحمد ديو شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي -أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص152.
- ¹⁶ ريم السيد، عندما أشرق في عيوني، ص37.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص22.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص10.

*قائمة المراجع:

*المصدر:

ريم السيد، د.ت، عندما أشرق في عيوني، ط2، دار لامارتان، باريس.

قائمة المراجع:

- ¹ أحمد ديو شعبو في نقد الفكر الأسطوري والرمزي -أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني.
- ² بسام قطوس، 2001، سمياء العنوان، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الأردن.
- ³ حميد الحميداني، 2007، القراءة وتوليد الدلالة -تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب.
- ⁴ خالد حسين حسين، 2007 نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ط1، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا.

5. محمد البازي، 2012، العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، ط1، دار الأمان للنشر، المغرب.
6. حمد عويس، 1988، العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
7. نسمة كرييع، 2017 قراءة سيميائية في عتبات ديوان "تلالي تضيق بعوسجها" لعمار الجنيني، مجلة دراسات، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ع50.